التنمية الثقافية عند مالك بن نبي

(دراسة تحليلية تعتمد على مؤلفات مالك بن نبي)

الأستاذ الدكتور عبد الرحمان تركي

قسم أصول الدين / كلية العلوم الإسلامية / جامعة الوادي / الجزائر

tourki-a.rahman@univ-eloued.dz

أولا - **الملخص** :

انتهج مالك بن نبي منهجا واقعيا اجتماعيا في فلسفته وفكره حول التنمية الثقافية، حيث انطلق في تأملاته وأبحاثه وكتاباته من المجتمعات العربية والإسلامية، والتي تتجلى فيها كل الصعوبات والتحديات التي تواجه التنمية الثقافية، رغم امتلاكها منظومة عقائدية وأخلاقية وفقهية مقتبسة من الوحي الإلهي ممثلا في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن اجتهادات العلماء والفقهاء، هذه المنظومة تضمن لها النهوض والتقدم والسعادة في الدارين إن هي التزمت بمبادئها وسارت في ضوء هديها .

كما استفاد ابن نبي من العلوم والتجارب التي عاشها على امتداد عقود من القرن العشرين، وجعلها شواهد وأمثلة لتأملاته، وأخذ بها على سبيل الاستدلال ليقارنها بوقائع التاريخ وخاصة التاريخ الإسلامي .

واطّلع على الثقافة الغربية على أسسها وأهدافها، مما جعله يقارن بين المجتمعات الغربية (الأوربية والأمريكية) والمجتمعات العربية والإسلامية، هذه المقارنة - التي قامت كذلك على التجربة الميدانية والملاحظة المباشرة - كشفت له عن أسباب تخلّف العالم الإسلامي وسوء موقفه اتّجاه الحضارة الغربية المتطورة وعدم استفادته من منجزاتها وتقنياتها .

وأكدّ ابن نبي على الاتجاه النفسي والاجتماعي في التنمية الثقافية، فعند قوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد 11] ، رأى أنه دعوة إلى تغيير الإنسان من أجل تغيير جماعته، لأن الإنسان هو أساس التغيير وهدفه، كما رأى أنه دعوة إلى البدء بتغيير ما بالنفس، فإذا تغيرت نفس الإنسان تغير محيطه وتغيرت حياته وأمته .

وتتكون الثقافة لدى مالك بن نبي من مجموع تجارب العقل وخبراته، مستندا إلى مصدر الوحي الإلهي وتابعا له، ويشبهها بالدم الذي يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسد، والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة.

وباختلاف الثقافات تختلف العقول وإدراكاتها وأنظارها ورؤاها، وذلك لأن العقل يعني واقعا فكريا ومعرفيا وحقيقة وجودية وفضاء ثقافيا تتميز به ثقافة عن أخرى، أي أن عقل الإنسان يختلف من بيئة اجتماعية إلى أخرى نظرا لاختلاف المجتمعات والأمم في ثقافاتها ومعتقداتها وتقاليدها وعاداتها وما يشغلها من أحداث ووقائع .

وقد راعى ابن نبي هذا الاختلاف إذ تعامل مع الأفكار ككائنات حية تؤدي دورها ضمن شروط عضوية معينة، كما رأى أن عالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء، العالم الذي لا يمكن أن يقف على قدميه بدون العالم الأول.

في هذه المداخلة نحلل رؤية ابن نبي للتنمية الثقافية، وما هي مجالاتها لديه، وما هي الحالة التي يعيشها العالم الإسلامي.

ثانيا – الموضوع:

1 - مفهوم التنمية الثقافية وأهدافها ومجالاتها :

أ – مفهومها:

التنمية الثقافية هي تمكين الأنشطة الثقافية أو تعزيزها داخل المجتمع، لجعل أفراده أكثر ثقافة وإدراكا، مما يحسن جودة حياتهم، فالثقافة تفتح آفاقا اجتماعية واقتصادية جديدة في البلد

الذي ينتمي إليه الأفراد، وهو ما يزيد دخلهم ويحقق رفاهيتهم على المدى البعيد [1] .

أو هي دعم الأنشطة المعرفية والمشاريع الثقافية، وتسهيل الاستثمار في القطاع الثقافي، لتعزيز دوره في التنمية الاقتصادية، وتمكين المواطنين المهتمين بهذه الأنشطة من الانخراط فيها [2] .

أو هي عملية إنسانية شاملة، تبدأ من تنمية الثقافة أساسا وصولا إلى تطويرها وتحديثها وبلورتها حتى تكون ثقافة هادفة بانية للإنسان وللمجتمع، والثقافة هي مجمل النشاط الإنساني في حقول الإبداع الفكري والأدبي والفني على تعدد أوجه هذا الإبداع، والثقافة في المجتمعات الإسلامية هي بالضرورة ثقافة إسلامية، للعلاقة الوثيقة بين الثقافة أي ثقافة، وبين المجتمع مهما تكن هويته وطبيعته [3] .

ب - أهدافها :

تتمثل أهداف التنمية الثقافية فيما يلي [4] :

1 - المحافظة على الموروث الثقافي

نظرًا لكون الثقافة تحمل هوية المجتمع، ومعتقداته وعاداته، فإنّ التنمية الثقافية تُسهم في تعميق تلك المفاهيم لدى أفراد المجتمع مع مرور الوقت .

2 - نشر المعرفة

يعد نشر المعرفة من أهمّ أهداف التنمية الثقافيّة، إذ تُسهم المعرفة في رفد المجتمع بالكفاءات والقدرات البشريّة التي تمتلك العلم والمهارات والإبداع والطموح، كما أنّ المعرفة تُعدّ عماد تقدّم المجتمعات وارتقائها .

3 - تعزيز الفكر الإبداعي لدى الأفراد :

إن تشجيع التنمية الثقافية يزيد من ثقافة الأفراد ووعيهم، ويعمل على تطوير الإبداع الثقافي لديهم، وهذا يساعد على تطويرِ المجتمع الذي ينتمون إليه .

4 - تحقيق التنمية الاقتصادية :

تعزز التنمية الثقافية التنمية الاقتصادية في المجتمع، عبر العديد من المعارف والمهارات

---

1 - الموقع الالكتروني : https://ndf.gov.sa/ar/cultural-development/.، تاريخ الزيارة : 2024/6/7 .

2 - الموقع الالكتروني : https://ndf.gov.sa/ar/cultural-development/.، تاريخ الزيارة : 2024/6/7 .

3 - عبد العزيز التويجري : التنمية الثقافية من منظور إسلامي، ص 12، 13، 14 .

4 - الموقع الالكتروني : https://ndf.gov.sa/ar/cultural-development/.، تاريخ الزيارة : 2024/6/7 .

والصناعات، وإن العمل على تشجيع التنمية الثقافية يعد استثمارا ناجحا في عالم الاقتصاد، ويساعد على ترسيخ مفهوم التنمية المستدامة في المجتمع .

ج – مجالاتها :

يوجد العديد من المجالات التي يمكن من خلالها تحقيق التنمية الثقافية، ومنها ما يلي[1]:

1 - التشجيع على اكتساب المعارف الثقافية

2 - دعم الأنشطة والمشاريع الثقافية

3 - تطوير مراكز البحث والثقافة والمكتبات

4 - دعم اكتساب العلوم والآداب والفنون بمجالاتها المختلفة

2 - رؤية ابن نبي للتنمية الثقافية :

التنمية الثقافية كما يرى ابن نبي لا تخضع لقوانين غامضة مجهولة الأسباب، وإنما تخضع للعمل والاجتهاد والإبداع والابتكار، ويضرب لهذا مثلا بقانون الجاذبية الذي طالما قيّد الإنسان بحتمية التنقل برا أو بحرا، ولم يتخلص الإنسان من هذه الحتمية بإلغاء القانون، ولكن بالتصرف مع شروطه الأزلية بوسائل جديدة تجعله يعبر القارات والفضاء كما يفعل اليوم [2] .

وظلّ ابن نبي من خلال أحاديثه يوماً بعد يومٍ يحلّل مفهوم الثقافة عبر تطوّر الحضارات وتدافع الشعوب، وجاءت أفكاره حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة لم تألفها المصطلحات المستوردة التي تمّت صياغتها في إطار الفكر اللّيبرالي أو في إطار الفكر الشيوعي، جاءت أفكاره في صورة تحليلية تحفّز الفكر العربي الإسلامي وتحرّكه باتّجاه اكتشاف الحقائق والمصطلحات وفق المعطيات النابعة من تجربته [3] .

وتحدث ابن نبي عن أهمية الثقافة وضرورتها للإنسان، إذ أنّ مصيره رهن بثقافته، وأيّ تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة، وتحدث عن مشكلات الثقافة الاتّصالية والتي تتّصل بتعايش مجتمعين أو أكثر، كما تحدث عن مشكلات الثقافة على المستوى العالمي، وتطرق في حديثه إلى تحليل عالم الأفكار والجوانب النفسية والاجتماعية والأخلاقية المرتبطة بالثقافة في العالم الإسلامي [4] .

---

1 - الموقع الالكتروني : https://ndf.gov.sa/ar/cultural-development/.، تاريخ الزيارة : 2024/6/7 .

2 - ابن نبي : تقديم كتاب (**حتى يغيروا ما بأنفسهم**) لجودت سعيد، ص 10، 11 .

3 - عمر مسقاوي : تصدير كتاب (**مشكلة الثقافة**) لابن نبي، ص 7، 8 .

4 - سليمان الخطيب : **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، ص 19 .

والثقافة لديه هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام المعطيات في كيان واحد [1].

والثقافة لديه تعطي العلم وتعطي السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع، وتعطي امتلاك القيم الإنسانية التي تصنع الحضارة، والثقافة تصنع الإنسان الذي يراقب ذاته في بادئ الأمر، حيث يتناسق عالم الظواهر وعالم الداخل، وهذه النظرة هي التي تسمح للإنسان أن يسيطر على ذاته، وأن يسيطر على الأشياء التي ابتدعتها عبقريته [2].

والثقافة الإسلامية كما يرى ابن نبي كانت تتميز عن الثقافات الأخرى بأنها حررت الشعوب من الخرافات والوثنيات وعبادتها، وكانت القدوة والإلهام للمسلمين وللعالم كله، غير أن هذه الثقافة وصلت إلى نقطة الانتكاس والارتداد والتقهقر، حيث أصيبت في عصور الانحطاط بالضعف والوهن وعدم الجدوى وانعدام الفائدة العملية، بسبب انحسار المجال العقلي وتوقف الإبداع العلمي خاصة في علوم الكون والحياة والطبيعة، وغلبة ثقافة الخمول والتواكل والاستسلام والجمود العقلي وعدم الأخذ بالأسباب [3].

والدين لديه عامل اجتماعي مؤثّر في توجيه التاريخ، معتمداً على دور الديانة النصرانية في تركيب الحضارة الغربية، ومعتمداً على الاعتبارات النفسية والاجتماعية للأمم والمجتمعات ، إلا أن الدين لا يقوم بدوره الاجتماعي إلاّ بقدر ما تكون الأمة متمسّكة بقيمها الغيبية ومبادئها العقدية [4].

وبحث ابن نبي مكونات الحضارة من الإنسان والتراب والزمن، ودور المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي في بناء الحضارة وتركيبها، وبين أسباب تدهور المجتمع الإسلامي المعاصر [5] ومظاهر تخلفه وانحطاطه مبرزا المراحل التاريخية التي مرّ بها (مرحلة الروح – مرحلة العقل – مرحلة الغريزة)، ومقياس القيم النفسية والاجتماعية الدالة على أحوال تطوره، وما آل إليه اليوم من هيمنة الغرب

---

1 - زكي ميلاد : **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة** ، ص 98 .

2 - ابن نبي : **من أجل التغيير**، ص 54، 55 .

3 - زكي ميلاد : **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة** ، ص 80 .

4 - ابن نبي : **شروط النهضة**، ص 12، 13، 15، 65 .

5 - يقسم تاريخ المجتمع الإسلامي إلى ثلاث مراحل : أولاها مرحلة الإسلام الأولى وهي أقوى المراحل في حيويتها وخصبها وتنتهي في معركة صفين، وثانيتها مرحلة المدنية الإسلامية وهي مرحلة التفكير والازدهار الحضاري وتنتهي بسقوط دولة الموحدين، وثالثتها مرحلة الجمود والانحطاط، ويخصّها بالعناية لأنّها المرحلة التي لا نزال نعيش في رواسبها وآثارها . (محمد المبارك : مقدمة كتاب (**وجهة العالم الإسلامي**) لابن نبي، ص 10، 11) .

عليه ماديا وثقافيا [1] .

كما اعتقد أن الإنسان هو في نظره منبع وأساس المشكلة الحضارية، وأي تفكير في مشكلته هو في الأساس تفكير في مشكلة الحضارة، غير أن مشكلة الإنسان تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها ومعطياتها، فالفرد في المجتمع البلجيكي مثلا يعيش في حياته حالة عدم توازن اقتصادي ناجم عن عدم الملاءمة بين حاجاته وتيار الإنتاج الصناعي السريع أي حالة حركة مضطربة، في حين يوجد حسبه العكس في المجتمع الإسلامي، إذ المشكلة هنا ليست في الحركة وإنما في الركود، إنها مشكلة الفرد المنتمي إلى هذا المجتمع، والذي عزف عن الحركة واستقال من وظيفته الأساسية وظيفة السير في ركب التاريخ [2] .

لذلك فإن التنمية الثقافية لديه تبنى على العقل [3] بالنظر إلى وظيفته ودوره في حياة الناس على اختلاف عقولهم، وبالنظر إلى أن العقل هو النشاط الفكري أو النظر في الأشياء والتأمل فيها، واستخلاص الأفكار والمفاهيم منها ، إذ الشيء لا يعد موجودا بالنسبة لشعور الإنسان إلا عندما يلد فكرة تصبح برهانا على وجوده في عقله ، وكل ما ينضوي في منطقة الضوء التي تحوطه يصبح فكرة تدخل إلى مجال معرفته أو إلى شعوره، وعندما يتم دخول الشيء في هذه المنطقة من الضوء يصبح حضوره وجودا حقيقيا، وحينئذ تنكشف شخصيته ويوضع بالتالي اسم يطلق عليه[4] .

وابن نبي لا يرى صراعا بين الوحي والعقل، بل يرى أن العقل لا يمكن أن يشع إلا بالإيمان الديني ، فالإنسان يفقد تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل عندما يفقد قوة إيمانه، والعقل يختفي لأن آثاره تتبدد في وسط لا يستطيع أن يفهمها أو يستخدمها، ويعيب على الثقافة الإسلامية حين اتجهت إلى امتداح الماضي حتى صارت ثقافة أثرية تسرد علوم السابقين واجتهاداتهم، وهي وإن كانت صحيحة إلا أن الحقائق فيها تحولت إلى حقائق خامدة مدفونة في جمل رائقة وعلم غزير، كما يصف الفكر الإسلامي حين انعدم فيه دور العقل واضمحلت وظيفته بالعجز عن درك حقائق الظواهر فلم يكن يرى منها سوى قشورها، والعجز عن قراءة القرآن قراءة تعليلية مدركة واعية

---

1 - ابن نبي : **شروط النهضة**، ص 15، 65، 99 .

2 - لحرش موسى : إشكالية الحضارة وأزمة مجتمعات العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي (المجتمع الجزائري نموذجا) ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة، (مخطوط)، ص 185، 186، 187 .

3 - يبين القرآن الكريم أن شر الدواب عند الله سبحانه هم المشركون والمنافقون الذين لم يستعملوا عقولهم فيما يوصلهم إلى سماع الحق وفهمه، لذا كانت كل دابة مما سواهم مطيعة لله سبحانه فيما خلقها له، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، وكانوا أسوأ من الأنعام التي لا تملك العقل، يقول الله تعالى : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) [الأنفال 22] . (ابن كثير الدمشقي : **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص 33، 34) .

4 - ابن نبي : **مشكلة الثقافة**، ص 21 .

بمشاكل الحياة [1].

والعقل البشري كما يصفه يتطور عبر الزمن بسبب العراقيل والصعوبات التي تواجهه والتي تدفع الإنسان إلى البحث عن الحقيقة في كل ميدان في الأخلاق والتشريع والاجتماع وفي الطب والطبيعة [2]، وهذا يعني أن الإنسان احتاج إلى عشرات الألوف من السنين لينصقل ذهنه وترهف ملكاته، ويصبح قادرا على عقل الأشياء أي ربطها بعضها ببعض، وملاحظة الأحداث والظواهر واختزان نتائج هذه الملاحظات [3].

ويسود العقل في فكر ابن نبي، يسود شيئا فشيئا على كل من الروح والغرائز كخلاصة لصراع داخلي في كيان المجتمع، بين الروح المهيمنة التي بدت ملامح تراخيها وبين الغرائز المدفونة أو المسخرة والتي بدت أعراض ظهورها أو نشوزها، فمرحلة العقل هذه تتساوى فيها أسباب السمو الروحي وجاذبية الغرائز، وتتسم بالتوسع وانتشار العلوم والآداب والصناعات [4]، وينتكس العقل بسيطرة الغريزة حيث يفقد قيمته الخلاقة في الإبداع والبناء والإعمار، وتتولد حينئذ مضاعفات التخلف والتي نعايش آثارها في ظروفنا الراهنة اليوم [5].

ومن مجموع تجارب العقل وخبراته تتكون الثقافة التي يشبهها ابن نبي بالدم الذي يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسد، والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة [6].

وباختلاف الثقافات تختلف العقول وإدراكاتها وأنظارها ورؤاها، وذلك لأن العقل يعني واقعا فكريا ومعرفيا وحقيقة وجودية وفضاء ثقافيا تتميز به ثقافة عن أخرى [7] ، أي أن عقل الإنسان يختلف من بيئة اجتماعية إلى أخرى نظرا لاختلاف المجتمعات والأمم في ثقافاتها ومعتقداتها وتقاليدها وعاداتها وما يشغلها من أحداث ووقائع .

وقد راعى ابن نبي هذا الاختلاف، إذ تعامل مع الأفكار ككائنات حية تؤدي دورها ضمن شروط

---

1 - ابن نبي : **وجهة العالم الإسلامي**، ص 27، 53، 59 .

2 - ابن نبي : **مشكلة الثقافة**، ص 23 .

3 - حسين مؤنس : **الحضارة**، ص 17 .

4 - محمد سعيد مولاي : **إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي**، مجلة الموافقات، الجزائر، 1994، العدد الثالث، ص 303 .

5 - زكي ميلاد : **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة** ، ص 81 .

6 - ابن نبي : **مشكلة الثقافة**، ص 78 .

7 - علي حرب : **مداخلات**، ص 93 .

عضوية معينة [1]، كما رأى أن عالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء، العالم الذي لا يمكن أن يقف على قدميه بدون العالم الأول [2].

وبناء على هذا التصور عاب على العالم الإسلامي أن أساسه المفاهيمي الثقافي ضعيف للغاية، ففكره عاجز لا يقيم علاقات بين النشاطات والجهود والوسائل من ناحية ونتائجها من ناحية أخرى، وعالم أشيائه لا يرتكز على كبير شيء، مضافا إلى ذلك أن الأشياء الموجودة فيه كان قد اشتراها من مجتمعات وأمم تملك أفكارا [3].

ومن نتائج حالة العجز هذه الفوضى الفكرية والاضطراب الأخلاقي إذ هناك ترابط مشترك بين الحالات العقلية والأخلاقية والاجتماعية [4]، فإذا كان المجتمع متخلفا فهو لا يتيح للعقل بالاجتهاد والتطوير، بل إن آثار العقل واجتهاداته تتبدد في هذا الوسط الذي لا يستطيع أن يفهمها أو يستخدمها، ويضرب ابن نبي لهذا مثلا بأفكار ابن خلدون [5] التي جاءت إما مبكرة أو متأخرة عن أوانها فلم تستطع أن تنطبع في العبقرية الإسلامية التي فقدت مرونتها الخاصة ومقدرتها على التقدم والتجدد[6].

واطّلع ابن نبي على الثقافة الغربية على أسسها وأهدافها، مما جعله يقارن بين المجتمعات الغربية (الأوربية والأمريكية) والمجتمعات العربية والإسلامية، هذه المقارنة التي قامت كذلك على التجربة الميدانية والملاحظة المباشرة كشفت له عن أسباب تخلّف العالم الإسلامي وسوء موقفه اتّجاه الحضارة الغربية المتطورة ماديا وعدم استفادته من منجزاتها كما استفادت اليابان .

لذلك فهو يدعو إلى أن نميز في اقتباسنا أو تأثرنا بالغرب بين عالمين : عالم الاكتشافات والعلوم والتكنولوجيا، وعالم العقائد والأخلاق والقيم والأحكام العملية، فنأخذ بالأول، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها، ولأنه عالم يستند إلى العقل البشري بغض النظر عن الديانة أو العرق أو اللون، أما الثاني فقد أغنانا الإسلام وأبان لنا وجه الحق في هذا المجال، يقول ابن نبي : "إن أوربا حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم .... ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد

---

1 - حمودة سعيدي : **مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي** ، رسالة لنيل الماجستير في الفلسفة، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، (مخطوط)، ص 189 .

2 - ابن نبي : **فكرة كمنويلث إسلامي**، ص 52 .

3 - ابن نبي : **فكرة كمنويلث إسلامي**، ص 54، 59 .

4 - ابن نبي : **فكرة كمنويلث إسلامي**، ص 32 .

5 - ابن خلدون (732هـ- 808هـ) : هو عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، الفيلسوف المؤرخ، أصله من اشبيلية ومولده ومنشؤه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، تولى أعمالا واعترضته دسائس ووشايات، توجه إلى مصر وتوفي فيها، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) . (الزركلي : **الأعلام**، ج4، ص 106، 107) .

6 - ابن نبي : **وجهة العالم الإسلامي**، ص 27 .

الذي كان يروح عليها ويرفه عنها ويسندها في وقت المحن لأنه يربطها بوجود الله، إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة للمبررات الجديدة ... فيجب أولا أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود" [1] .

وإن استخدم ابن نبي بعض الألفاظ[2] التي يبدو من خلالها تأثره بالمصطلحات الثقافية الغربية في صياغاته الفكرية، إلا أن هذا الاستخدام كما يظهر من دلالات نصوصه لا يمس جوهر ومضمون فهمه لأصول المفاهيم الإسلامية الصحيحة، إذ لم يسع إلى شيء من التوفيقية بين المفاهيم الإسلامية والنتاج الثقافي للحضارة الغربية [3] ، بل إنه رفض محاولة التوفيق بين واقع الأمر المتخلف عن (صفين) [4] وبين ما جاء به الإسلام [5] .

ثالثا - خاتمة :

في ختام هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية :

1 - التنمية الثقافية عند ابن نبي تبنى على الجوانب العلمية والأخلاقية والعملية، ويجب أن تكون دافعة للحضارة والتطور وامتلاك ناصية الابتكار التكنولوجي .

2 – التنمية الثقافية هي طريق في كل الأوقات للتنمية الاجتماعية، وهي كذلك طريق لانتشار العلوم والمعارف والمهارات والصناعات وتطورها .

3 – فهم ثقافة بلد ما تساعد في فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية السائدة فيه .

4 – تألم ابن نبي كثيرا على حالة العالم الإسلامي الراهنة حيث ساد الاضطراب الفكري والتبعية المذلة للغرب في المجال الثقافي واللغوي والتكنولوجي، مع أنه (أي العالم الإسلامي) لا تنقصه الوسائل والأدوات والإمكانات البشرية والطبيعية .

5 – انتقد ابن نبي بعض جوانب ما حواه التراث الثقافي العربي الإسلامي، واستنتج منه ما يخدم الفكر الإسلامي المعاصر وما يطوره نحو النهوض والفعالية والجدوى العملية والاجتماعية، تجلى هذا في نظرته للإنسان والثقافة والحضارة والاجتماع، وفي جمعه للنواحي العقلية والنفسية والعملية في الخطاب الديني .

---

1 - ابن نبي : **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، ص 43، 44 .

2 - من هذه الألفاظ : الديمقراطية، الاشتراكية، اللاهوت والناسوت، الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل المحرفين)، الأنا . (ابن نبي :**آفاق جزائرية**، ص 188، 208، **وتأملات**، ص 73، 75، **والظاهرة القرآنية**،ص 240، **وميلاد مجتمع**، ص 41) .

3 - سليمان الخطيب : **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، ص 149، 291، ومحمد يحياوي : **مشكلة المنهج في كتابات مالك بن نبي**، رسالة لنيل الماجستير في الفلسفة، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، (مخطوط)، ص 155 .

4 - صفين الوقعة المشهورة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، من نتائجها غلبة نظام الحكم الملكي الوراثي في الحضارة الإسلامية .

5 - ابن نبي : **وجهة العالم الإسلامي**، ص 55 .

6 – نظر ابن نبي إلى القضايا الثقافية من خلال آثارها الاجتماعية والنفسية والحضارية، ولم يدرسها دراسات أكاديمية نظرية بحتة، كما كان يؤلف ويكتب باللغة الفرنسية مما يبين تميز إطار فكره وقالب ثقافته عن كثير من زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي الذين كتبوا باللغة العربية .

7 - كما رأى وجوب تسخير الإنسان ما في الكون والحياة لفائدته ومصلحته، وذلك بالنظر إلى الأشياء والوسائل والظواهر نظرة علمية لا نظرة استهلاكية، والاطلاع على أسباب ومراحل تطور الحضارة الغربية المادية المعاصرة .

8 - انتهج ابن نبي في تحليله للقضايا الثقافية والاجتماعية المنهج العلمي المستند إلى بديهيات العقل ومسلماته، ودعا إلى أن يجتهد الإنسان بواسطة ملكاته العقلية مع مراعاة السنن الإلهية والقوانين الطبيعية لينتج المعارف والعلوم والأفكار .

9 – آمن ابن نبي بضرورة تقوية الإيمان الديني في المجتمعات الإسلامية لإشعاع العقل وتطور الثقافة والعلوم والمعارف، لأن الإنسان لن يقوم بعمل الاجتهاد والابتكار إلا إذا كان مدفوعا بمجموعة من الغايات والأهداف التي يجب أن تتحقق في حياته .

رابعا – مصادر البحث ومراجعه :

المصادر:

1 - ابن نبي (مالك) :

آفاق جزائرية، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ط 1991 .

2 - ابن نبي :

تأملات، دار الفكر، الجزائر، ط 1991 .

3 - ابن نبي :

دور المسلم ورسالته، دار الفكر، دمشق، ط 1989 .

4 - ابن نبي :

شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط3 ، 1969 .

5 - ابن نبي :

الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت .

6 - ابن نبي :

فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر، دمشق، ط2، 1990 .

7 - ابن نبي :

مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984 .

8 - ابن نبي :

من أجل التغيير ، دار الفكر، دمشق، ط2، 2002 .

9 - ابن نبي :

ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط2، 1974 .

10 - ابن نبي :

وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 1985 .

المراجع :

1 - جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1990 .

2 - حسين مؤنس : الحضارة، عالم المعرفة، الكويت، ط 1998 .

3 - الزركلي : الأعلام ، ط3 .

4 - زكي ميلاد : مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998 .

5 – سعيدي حمودة : مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف عمار طالبي، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1984– 1985 .

6 - سليمان الخطيب : فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993 .

7 - عبد العزيز التويجري : التنمية الثقافية من منظور إسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط2، 2015 .

8 - ابن كثير الدمشقي : **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1999 .

9 – لحرش موسى : إشكالية الحضارة وأزمة مجتمعات العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي (المجتمع الجزائري نموذجا)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة، إشراف د . أحمد بوذراع، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، السنة الجامعية 2000 – 2001 .

10 - محمد سعيد مولاي : إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، الجزائر، 1994، العدد الثالث .

11 – يحياوي محمد : مشكلة المنهج في كتابات مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إشراف د . أحمد موساوي ، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1991م – 1992م .

12 - الموقع الالكتروني : https://ndf.gov.sa/ar/cultural-development